

محاضرة الدكتور خياط في شهر رمضان

18 نوفمبر 2003

كثيراً من الأسئلة تتعلق بالمرأة ووضع المرأة، شيء يتعلق بسفر المرأة، شيء يتعلق بولاية المرأة، شيء يتعلق بتولي المرأة شؤون القضاء وسلطات القضاء العليا الولاية العليا للمسلمين، سفر المرأة بدون محرم، بعض أشياء أشرنا إليها في مرة ماضية، لكن أحب أن أعيد ذكرها مع باقي الأشياء كجزء من فقه المرأة إن صح التعبير، العنوان الذي اقترحت له هذه الجلسة هو فقه المرأة.

المهم بالنسبة لموضوع المرأة ما نسمع اليوم من قضية Gender sensitivity وما يتعلق به و Gender streamlining ونحن الآن كثيراً ما نسمع هذه المصطلحات ونتساءل عن صلتها بثقافتنا وديننا وأعتقد أنه ربما ما تناول هذه الأشياء وهذه الأمور هو الإسلام في هذا الموضوع لإعطائه كل إنسان الدور الذي يناسبه في الوقت الذي يضمن فيه التسوية الكاملة من حيث الحقوق لذلك هنالك صورة رئيسية في الحقوق مع تفرقة أو تمييز في الواجبات التسوية بالنسبة للإسلام طبعاً المساواة الكاملة بشكل عام غير ممكنة وغير منطقية لأن لا نستطيع مثلاً أن نسوي بين مجرم موجود في سجن لا نستطيع أن نسوي بينهما لكن بطبيعة الحال العدالة مطلوبة يجب أن يعامل كلاهما بنفس القدر من العدالة يجب أن يكون لدينا تمييز بين العدالة والمساواة لكن بالنسبة للمساواة نريد أن نستذكر بعض الأشياء التي يتحدث فيها الإسلام عن المساواة الحقيقية بين الجنسين.

أولاً، التسوية في أصل الخلق: خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، فالمسؤولية عما كان الخلق الأول ليس في بعض الديانات الأخرى أن المرأة هي المسؤولة عن الخطيئة وإنما كلاهما مسؤولان عن خطئهما، فوسوس لهما الشيطان ليبيد لهما ما وري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا... إلى آخره، فالحديث كان للرجل والمرأة على قدر المساواة والنتيجة أن قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. إذن المسؤولية متساوية تماماً ليس هنالك فارق ليست المرأة هي المسؤولة كما يقول البعض بالعكس يمكن يكون سيدنا آدم مسؤول أكثر لأنه ربنا يقول فعصا آدم ربه ... التسوية أيضاً في المسؤولية الإنسانية فمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ومن عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب. إذن الالتزام قائم بالالتزام بالدستور الإلهي ولا كان لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهما الخيار من أمرهم، مؤمن أو مؤمنة سوى بينهما في ثواب الله عز وجل إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والصادقين والصادقات والقانتين والقانتات آيات طويلة كلها تذكر الإثنين معاً إلى آخره أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيماً. سوى بينهما في المسؤولية عن صلاح المجتمع المسؤولية السياسية عن صلاح المجتمع والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر. فإذن هذه مسؤولية سياسية عن إصلاح المجتمع كلاهما على قدم المساواة

المؤمنون والمؤمنات، سوى بينهما في احتفاظ كل باسمه قبل الزواج فلا الزوج يغير اسمه ولا الزوجة تغير اسمها. المرأة تحافظ على اسمها تماماً ما في أي نوع من التبعية، سوى بينهما في حق التملك لأي مشروع يقوم به أو أي دخل يدخل عليهما للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن، سوى بينهما في الاستقلال المالي والاقتصادي كما أن الزوجة لا تستطيع أن تتصرف في أموال زوجها، الزوج لا يستطيع أن يتصرف في أموال زوجته، بل المرأة أعطيت شيء من حق التصرف في أموال زوجها، أن تتصدق من أموال زوجها، غير مفسدة، لكن الزوج ليس له حق أن يتصدق من مال زوجته غير مفسدة.

سوى بينهما في الأحقية بالإرث من الوالدين والأقربين للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ولو أن هنا تحقيق العدالة تناول بعض الفوارق ولكن ليست هي الفوارق التي يتصورها الناس، سوى بينهما في ممارسة العمل المهني، فكان في زمن النبي ﷺ من تعمل في الزراعة ومن تعمل في الرعي ومن تعمل في الحياكة ومن تعمل في النسيج ومن تعمل في الصناعات المنزلية ومن تعمل في إدارة عمل تجاري ومن تعمل في مداواة الجرحى ومن تعمل في التمريض كل هذا كان في زمن النبي ﷺ. سوى بينهما في الأجر الذي يتقاضيه عن نفس العمل في حين أنه مازال حتى الآن في بعض الدول التي تقول عن نفسها أنها متقدمة نفس العمل إذا قام به رجل وامرأة، المرأة تتقاضى مرتباً أقل، غير متساوي، في حين هذا الشيء غير مقبول في ديننا الإسلامي. سوى بينهما في حق طلب العلم بل جعل طلب العلم واجباً ليس مجرد حق طلب العلم فريضة على كل مسلم، معناه أوجب الإسلام أن تنخفض نسبة الأمية إلى صفر بالمئة، طالما على كل مسلم يجب أن يتعلم. سوى بينهما في الحفاظ على السمعة والمكانة الاجتماعية. يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب إذن المحافظة على السمعة الاجتماعية. سوى بينهما في المسؤولية القانونية والجناية العقوبات تنطبق عليهم على حد سواء، سوى بينهما في اختيار كل من الزوجين لزوج، فلا زواج إذا لم يوافق الزوج ولا زواج إذا لم توافق الزوجة. سوى بينهما في المسؤولية عن البيت النبي ﷺ يقول الرجل راع في بيته والمرأة راعية في بيت زوجها كان الرسول ﷺ يخسف النعل ويرقع الثوب ويخيط، في رواية أخرى يكون في مهنة أهله، أسألوا السيدة عائشة ماذا كان يفعل النبي ﷺ في بيته مش مثل رجال اليوم يتكبرون عن هذه الأعمال لا كان يخسف النعل يعني يصلح حذاءه ويرقع الثوب ويخيط ويكون في مهنة أهله، وفي رواية أخرى كان بشراً من البشر يحلب شاته ويخدم نفسه وفي رواية أخرى كان يفعل كما يفعل الرجال في بيوتهم، يعني كان في زمن النبي ﷺ كان الوضع هو الوضع الطبيعي أن الرجل يعمل في البيت كما تفعل المرأة في البيت. سوى بينهما في حضور العبادات والاحتفالات ومجامع الخير هذه كلها أمثلة ولو لم تكن مستوعبة تماماً في أوجه المساواة التي نلاحظها في كل شؤون الحياة ولذلك هذا منطلق يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا لا يجوز أن يكون هنالك تمييز في المعاملة بين الرجال والنساء. بالإضافة إلى ذلك المرأة كان لها معاملة

خاصة في بعض الأمور بصورة خاصة للمحافظة على صحة المرأة، صحة المرأة البدنية والنفسية هنالك بعض المعاملات الخاصة، فأولاً من أجل المحافظة على الصحة البدنية، الإسلام باعتبار أن من المعروف أن المرأة ستعرض في مراحل حياتها إلى بعض المشقات التي تواجهها بتميزها البيولوجي فالإسلام أخذ ذلك في عين الاعتبار فلذلك شرف الرجال بأن جعلهم قوامين على النساء، الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم لاحظوا بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم، لاحظوا بما فضل الله بعضهم على بعض مش بما فضلهم عليهن يعني كل من الطرفين له أفضلية في ميدان على الآخر والرجال قوامون على النساء معناها القوامة هي القيام بشؤون هذا الشخص الآخر. النبي ﷺ يقول لا يزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله، معنى قوامة على أمر الله مش معناها إن عندها رقابة على أمر الله وإنما معناها تقوم بالمحافظة على أمر الله وتقوم بشؤونه، فالقوامة معناها الخدمة والمحافظة والرعاية والعناية وهذا أمر الرجال مكلفون به من أجل الحفاظ على الصحة النفسية للمرأة من أجل عدم تكليفها بأي عمل شاق حتى تكسب رزقاً في الرجل مكلف بأن يكسب لها الرزق ويؤمن لها الرعاية وهي بالنسبة لها العمل هو حق ولكنه ليس واجباً إذن هذه في نوع من Gender sensitivity تتعلق بهذا أن الرجل ملزم بها وكثير من الناس يخطئون في فهم الآيات لأنهم لا يقرأون القرآن كما أنزل الله سبحانه وتعالى يقول: الرجال قوامون على النساء، لم يقل الأزواج قوامون على الزوجات فالرجال ليس فقط الزوج إذن الإنسانية غير متزوجة أبوها مكلف بأن يكون قواماً عليها يعني هنالك رجل في الأسرة مكلف برعايتها وعنايتها وتبدير شؤونها إلى آخره فهذه نقطة تتميز بها المرأة على الرجل في الوقت الذي لها الحق أن تعمل إذا شاءت ولكنها ليست ملزمة بالعمل إذا لم تشأ. عند الزواج يقوم الرجل بتقديم بادرة رمزية للمرأة بأنه مستعد لأن يؤدي هذه القوامة هذه البادرة الرمزية تعرف باسم المهر، المهر ليس مقصود فيه شراء أو كما يقول بعض الجاهلين المهر مقصود فيه هذه البادرة الرمزية أنا دفعت الآن لأدل على أنني مستعد أن أقوم بمسؤولية النفقات في المستقبل كله. ولذلك يلاحظ بالمقابل إذا المرأة ما أحبت زوجها لسبب من الأسباب أو كرهت عشرته إلى آخره فتقوم بعمل الخلع، عمله عليه ضجة كبيرة هنا هذا الشيء معروف من الأصل تعمل إليه بالخلع ترد له المال إذن ترد عليه ببادرة رمزية مقابل إن أنا ما لي غرض انتهى الموضوع. إذن هي قضية تبادل رمزي للدلالة على أن الإنسان يلتزم برعاية هذه المرأة بالقوام على هذه المرأة وبالمقابل هي ترد عليه قوامتها بالإضافة إلى ذلك الصحة النفسية للمرأة أيضاً لها ضمان أخرى كما يسيء فهم الكثير من الناس ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة، ما هي هذه الدرجة الناس كثيراً ما يخطئون في هذه الدرجة، الدرجة كما فسرها الإمام الطبري من قديم وأعاد تفسيرها شيخنا الأستاذ محمود شاكر رحمه الله في هذا العصر هو أن الله سبحانه وتعالى قد بين تعادل حقوق الرجل والمرأة ولهن مثل الذي عليهن، إذن هناك فيه تعادل بالنسبة للحقوق حقوق الرجل على المرأة، حقوق المرأة على الرجل. ثم أتبع ذلك بنذب الرجال إلى فضيلة من فضائل الرجولة وهو أن يتغاضى عن بعض حقوقه لامراته، يعني بعض الأشياء يغض النظر يتسامح فيها، بهذا الشكل يكون له هذه الدرجة لكن هذه تضمن رعاية صحة المرأة النفسية بحيث أنها لا

تزجج دائماً لا يصل الاحتكاك بينها وبين الرجل إلى الشكل الذي يؤذيها ويزعجها لا رجال مأمورون بأن يتغاضوا عن بعض هذه الأشياء يتغاضوا عن بعض الأخطاء التي تحدث بأن يتغاضوا عن بعض حقوقهم. وبذلك تكون لهم هذه الدرجة، فهذه الدرجة ليست مجرد درجة لأن الله سبحانه وتعالى لا يتحدث إخباراً إن لهم عليهن درجة لكن يتحدث أمراً بأنهم عليهم أن يعملوا جهدهم من أجل تحصيل هذه الدرجة إذن هذه المساواة الحقيقية بين الرجال والنساء تختلف عن المساواة في الثقافات الأخرى لأنها يلخصها حديث النبي ﷺ إنما النساء شقائق الرجال، فإذن هي علاقة تأخي بينما هي في الثقافات الأخرى علاقة صراع المرأة انتزعت حقوقها من الرجل قضية انتزاع الحقوق معناها إنه كان إنسان يأكل الحقوق والمرأة انتزعت حقوقه هذا حصل أيضاً في مجتمعات ومزال حتى الآن مازالت المرأة في مجتمعاتنا الحالية تحاول أن تنتزع حقوقها من الرجل العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمعاتنا الحالية مع الأسف التي هي أبعد ما تكون عن الإسلام، هي علاقة خصام وصراع، في حين أنها يجب أن تكون علاقة إخوة، النساء شقائق الرجال علاقة الإخوة هذه مهمة جداً، المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض هن لباس لكم وأنتم لباس لهن العلاقة هي علاقة اللباس بالجسد هذا العلاقة الحميمة والدافئة بين الجنسين مع الأسف نحن مسخناها وحورناها والسبب أنه في بداية الإسلام ربي النبي ﷺ الناس بهدوء فهذه التربية خلال السنوات الثلاث والعشرين التي عاشها المسلمون مع النبي ﷺ ربي عدد لا يتجاوز بضعة آلاف قليلة لكن فجأة دخل الناس في دين الله أفواجا هؤلاء كثيرون أتوا ومعهم عاداتهم وتقاليدهم وخاصة حينما دخلت ثقافات أخرى فلم يكفي الوقت لتخليقهم بأخلاق الإسلام وتربيتهم على نمط الإسلام وبذلك أتوا ببعض الأفكار المنحرفة التي حلت محل الدين ولا ننسى يا إخواننا وأخواتنا أن التقاليد أقوى من الدين، الله سبحانه وتعالى يقول: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، فالناس يصرون على التزام التقاليد، ولذلك هذه التقاليد التي أتت بثقافة الفرس وثقافة الروم وثقافة الإغريق حين ترجمت ثقافة الإغريق كل هذه صبت والناس لم يجدوا الوقت الكافي لأن يربوا التربية الصحيحة ولذلك بدأ الانحراف منذ البداية، منذ السنوات الأولى التي تلت عهد الراشدين، عهد الراشدين كان مختلف تماماً عن كل العهود التي جاءت بعدهم من حيث الممارسة ومن حيث التطبيق ومن حيث كل شيء ونحن الآن مازلنا نعيش في ظلال هذه التقاليد التي هي غير إسلامية على الإطلاق.

أمر آخر أريد أن أتحدث عنه وهو أنه في لغة العرب يوجد نوعان من الخطاب فقط خطاب للإناث وحدثن، وحدثن واضحة من كلمة نون النسوة، خطاب المرأة معروف إنه هذا خطاب موجه للمرأة، والنوع الثاني من الخطاب هو للرجال والنساء معاً، لا يوجد خطاب للذكور وحدثهم أبداً في اللغة العربية، اللغة العربية فقط نوعان نوع للإناث وحدثن ونوع للرجال والنساء معاً، فلذلك كل ما نجده في القرآن الكريم وارداً بصيغة خطاب للذكور يشمل الذكور والإناث معاً وهذا أمر أيضاً يخطئ فيه الكثير من الناس إلا إذا وجدت قرين دال على ذلك وإنما حينما يذكر الرجال ويذكر النساء عند ذلك نعرف أن هنالك تمييز، فيما عدا ذلك أقيموا الصلاة، أتوا الزكاة، لا تفعلوا كذا، افعلوا كذا، يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا، هذا موجهاً للطرفين لا داعي لذكر التفاصيل، عندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يؤكد يذكر الطرفين معاً إن المؤمنين

والمؤمنات والمسلمين والمسلمات لكن في غالب الأحيان أتت التوجيهات كلها بصيغة المذكر للدلالة على أنه للذكر والأنثى على السواء، هنالك شيء معروف عند علماءنا الإمام ابن القيم مثلاً يقول: وقد استقر في عرف الشارع أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكرين إذا أطلقت ولم تقتصر بالمؤنث فإنها تتناول الرجال والنساء. وبين حشر يقول: والنساء شقائق الرجال في الأحكام إلا ما خص، والكرماني يقول: حكم الرجل والمرأة واحد في الأحكام الشرعية، وابن حزم يقول: ولا خلاف بين أحد من العرب ولا من حاملي لغتهم أولهم عن آخرهم في أن الرجال والنساء وأن الذكور والإناث إذا اجتمعوا وخطبوا أو أخبر عنهم أن الخطاب والخبر يريدان بلفظ الخطاب والخبر عن الذكور إذا انفردوا ولا فرق وأن هذا أمر مضطرب أبداً على حالة واحدة، وصح بذلك بأنه ليس لخطاب الذكور خاصة لفظ مجرد في اللغة العربية غير اللفظ الجامع لهم وللإناث إلا أن يأتي ريان زائد يدل على أن المراد الذكور دون الإناث.

ولذلك فاستبقوا الخيرات، أنفقوا في سبيل الله، أدخلوا في السلم كافة، أنفقوا مما رزقناكم، ولا تكتُموا الشهادة، أوفوا بالعقود، اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم، هذا كله موجه للرجال والنساء مع ذلك نجد ناس ممن يدعون الإسلام في هذا العصر يقرأ آيات مثلاً الآيات التالية: وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا الرجال والنساء وعلى ربهم يتوكلون الرجال والنساء، والذين استجابوا لربهم الرجال والنساء، وأقاموا الصلاة الرجال والنساء، وأمرهم شورى بينهم للرجال وحدهم، لماذا، ومما رزقناهم ينفقون للرجال والنساء، والذين إذا أصابهم البغي فهم ينتظرون الرجال والنساء، فهذه من فضائح هذا العصر يعني يوجد في هذا القرن من يفكر مثل هذا التفكير فيعطل آية محكمة من كتاب الله عز وجل، الله سبحانه وتعالى يقول: أمرهم شورى بينهم هم لأن الرجال والنساء فالمرأة والرجل على قدم المساواة يجب أن يمارسوا الشورى ممارسة حقيقية منتخبين ومنتخبين وبأي شكل من أشكال الشورى هذا هو سوء الفهم والمسخ الذي يمسح مع الأسف أفكار كثير من الناس في عصرنا. هذا كله من تراث التقاليد وليس من تراث الإسلام.

المنطلق الثالث الذي أريد أن أذكره هو أن الممارسة الوحيدة التي أمرنا أن نعتد بها بعد النبي ﷺ يوم ممارسة الخلفاء الراشدين لأن الله سبحانه وتعالى يقول: لأن لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فلا حجة لأحد بعد رسول الله ﷺ نقول عالم الفلاني ذكر، لا حجة في أحد بعد رسول الله ﷺ استثنى الخلفاء الراشدين لأنهم الذين عاشوا معه وعلموا أفكار وتشرّبوا بأخلاقه فهؤلاء يقول النبي ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. إذن نحن نرى ممارسة النبي ﷺ وممارسة الخلفاء الراشدين هي التي تعطينا الفكرة الصحيحة عن ما ينبغي أن يكون.

سيدنا عمر كان معروف أنه شديد جداً في الجاهلية، وفيه حديث رواه البخاري ومسلم عن سيدنا عمر يقول: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، وفي رواية للبخاري: كن في الجاهلية لا نعد للنساء شيء فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حق من غير أن ندخلهم في شيء من أمورنا. هذا بيت من الجاهلية فقال عمر: فبينما أنا في أمر أتأمر يعني بيشاور نفسه بيفكر في الموضوع، إذ قالت

امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، أشارت عليه. فقلت لها: مالك ولما ها هنا وانت مالك فيما تكلمك في أمر أريده، فقالت: عجباً لك يا بن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك حفصة أم المؤمنين لتراجع رسول الله ﷺ الرسول يقبل أن تراجع من قبل زوجته؟ وأنت لا تقبل أن تراجع؟ سيدنا عمر نفسه حينما استوعب حكم الإسلام بالنسبة للمرأة عين سيدة نبيلة اسمها الشفاء بنت عبد الله كانت تعلم النساء الكتابة والقراءة وكانت ممن علم السيدة حفصة بنت سيدنا عمر نفسه الكتابة يعني أزلت أمية الناس كانت هذه مهمتها الأساسية عينها محتسبة أول محتسب في الإسلام كانت الشفاء بنت عبد الله المحتسب يعمل إيه quality control ويسيطر على الأسواق تماماً يعني هي اللي بتذهب إلى السوق طبعاً وقتها كان المجتمع هو السوق وهي التي تضمن تطبيق النظم والقوانين بأشكالها المختلفة طبعاً لا توجد القوانين المعقدة كما نحن اليوم لكن قضية الغش قضية الوزن قضية المكيال إلى آخره كانت هي التي تراقبها بنفسها تدور بالأسواق يعني بما معناه ليس أنه كانت جالسة في البيت وتراقب السوق معناه أنها كانت في السوق وكانت تذهب إلى السوق كل يوم وكانت تراقب عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزهير بن العوام وطلحة بن عبيد الله هؤلاء الناس الذين كانت مولاة عليهم وبيقولوا مع ذلك أن المرأة ليس لها ولاية على الرجال هذه الأفكار السخيفة الحقيقة يجب أن نتخلص منها ومن أفكار الجاهلية لأن سيدنا عمر الذي كان في الجاهلية كذلك هو الذي عين الشفاء بنت عبد الله بل عين أخرى اسمها سمراء بنت نهي عينها محتسبة في مكة إذن البلدان المهمان مكة والمدينة كانت المحتسبة فيهما امرأة الشفاء بنت عبد الله وسمراء بنت نهي، وسمراء بنت نهي كمان تجاوزت السلطات أكثر بكثير فكانت في يدها عصا تؤدب بها الناس.

أخونا العالم الثقة الزاهد الأستاذ عبد الحليم أبو شقة رحمة الله عليه ألف كتاب في ستة مجلدات اسمه تحرير المرأة في عصر الرسالة هذا الكتاب فقط يذكر نصوصاً من القرآن الكريم والبخاري ومسلم نادراً ما يتجاوز البخاري ومسلم وهو في الكتاب حورب ومنع من الدخول يعني رفض القرآن وبخاري ومسلم، ذكر في هذا الكتاب حوالي ثلاثمئة دليل من السنة الصحيحة وحدها من البخاري ومسلم على مشاركة المرأة الفعالة في المجتمع. هذا هو الذي يجب أن نقفدي به ما كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن الخلفاء الراشدين عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين فيما عدا ذلك فلا حجة لأحد بعد رسول الله ﷺ لا تصدقوا كل ما يقول هؤلاء المخرفون لا تصدقوا أبداً أن المرأة وضعها هو الوضع الذي يقولون عنه وإنما المرأة مشاركة، مشاركة فعلية وإلا كيف تكون المرأة ويكون المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر. وإلا كيف يكون النهي سيكون بالتليفون ستكون المرأة تحكي مع نفسها المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني المؤمنون أولياء المؤمنات والمؤمنات أولياء المؤمنين هذه النصوص التي يعطلها كثير من الناس مع الأسف ويعطون هذه الفكرة المشوهة يجب أن تحارب أمثال هذه الأفكار لأن هذه الأفكار تخرج تماماً على صحيح وصريح الإسلام وتعطل كثيراً من النصوص ومن يعطل نصاً من نصوص كتاب الله وهذا يخشى على دينه.

فإذن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضوع مهم قد يتاح لنا أن نتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبار أنهم من أعظم الموصفات أن الله سبحانه وتعالى يجعل الصفة الرئيسية لهذه الأمة أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، لكن كيف ما هو المعروف وما هو المنكر هذا أيضاً مما يساء استعماله بشكل مخزي فهذا أيضاً يحتاج إلى جلسة خاصة كما قلت لكن المهم فيه أن الإسلام لا يسمح لأي إنسان ذكر كان أم أنثى أن يكون سلبياً أو لا ألبالياً، وإنما يجب أن يتدخل ويصحح، الرجل والمرأة على السواء يجب أن يتدخلوا وأن يصححوا، لأن النبي ﷺ يقول: من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منه معناه تنزع عنه الجنسية ليس منهم يجب أن يهتم بأمورهم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من خير المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من وراءه، المسلم أخو المسلم لا يظلم ولا يسلمه ولا يخذله هذه كلها أشياء تتجلى على سبيل المثال في قضية مرضى الإيدز، المسلم أخو المسلم هذا مريض ولا غير مريض لا يجوز لأحد أن يخذله لا يجوز لأحد أن يسلمه إلى المرض لا يجوز لأحد أن يظلمه فيتهجم عليه، هذه أشياء أساسية نحن في ديننا وثقافتنا هذه أشياء بديهية لا نحتاج إلى الكلام عنها لو قلنا حقاً عارفين ديننا ومستمسكين بهذا الدين وبالمناسبة أنا أحب أن أقول كلمة هنا كلمة مسلم أو كلمة مؤمن لما تسمعوها لا تقتصر فقط على المتدينين بدين الإسلام إنما المقصود بها الإنسان المواطن في دولة الإسلام، أو الإنسان بشكل عام، ونفس كلمة الرجل، الرجل لا تعني الذكر وإنما تعني الإنسان، مثل اللغات الأجنبية كلمة رجل man تعني الذكر والأنثى homme بالفرنسية، والإيطالي والألماني، كلها تعني هذا الشيء متفق عليه بين كل اللغات، فاللغة العربية الرجل لا تعني الذكر فقط وإنما تعني الإنسان بشكل عام ولذلك إذا سمعتم أيما رجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه مش ذكور، يسبح له فيها بالغدو والأصاال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، حتى النبي ﷺ في حديث بالميراث يقول ألحقوا الفرائض بأصحابها ثم بقى فأولى رجل ذكر فقال: رجل ذكر حتى أن الرجل مقصود فيه الإنسان، لما قال ذكر، مَيِّز أن إنسان ذكر حتى يشير إلى أن المقصود فيه هنا ذكوراً. يقول العرب الرجلان للرجل والمرأة معاً فإذا كلمة رجل وكلمة مسلم وكلمة مؤمن مقصود بها الأحاديث تدل على أي إنسان يعيش في بلاد الإسلام أي إنسان بغض النظر، فحينما نقول المسلم أخو المسلم من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة هذا كله يعني الذي يدين بدين الإسلام والرجل والمرأة على السواء.

العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة نظيفة جداً وراقية جداً ونجد التعبير عنها في كتاب الله وسنة رسول الله بأشكال مختلفة يعجب الإنسان لماذا نجد هذه الأفكار الموجودة في مجتمعاتنا اليوم مع أن هذا هو الأصل فيها واللطيف في الموضوع نحن نجد أن في الأرياف نجد أن الفكر الإسلامي والتطبيق الإسلامي مطبق أكثر بكثير من المدن يعني أقرب إلى الإسلام بكثير مما هو الحال عليه في المدن، في الأرياف القضية عادية تماماً الناس يعيشون رجال ونساء يتحدثون بشكل محترم وعفيف ولا يوجد هنالك أي مجال طبعاً هنالك استثناءات هذه الاستثناءات كانت توجد في زمن النبي ﷺ كان هنالك منافقون وكان هنالك زناة وكان هنالك سراق

هذا يمكن أن يوجد في كل مجتمع لكن هذا لا يعطي انطباعاً عن المجتمع ككل ولا يؤيد ما قيل من مصطلح عجيب هو سد الذرائع فسد الذرائع فسد كل شيء في حياتنا الحياة التي يعيشها الناس في الأرياف هي الحياة الطبيعية جداً ومعقولة جداً فيها المودة والرحمة والتعاون والتفاهم وهذه الأشياء التي يركز عليها ربنا عز وجل ومن آياتنا أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها هنا السكون وهنا الاطمئنان وهنا الصحة النفسية تتحقق وجعل بينكم مودة ورحمة يمكن قلنا في المرة الماضية على اسم الودود من أسماء الله الحسنى هذا اسم عظيم جداً المودة والمحبة شبكة العلاقات الاجتماعية التي تكونت في المجتمع الإسلامي قديماً والله سبحانه وتعالى يقول: هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم. هذا التأليف حينما يكون من الله عز وجل الأمر يختلف تماماً فهنا بالنسبة للزوجين خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة هن لباساً لكم وأنتم لباس لهن هذا التلاقي هذا الدفء هذه الحميمية في العلاقة هذه الخصوصية في العلاقة هذه أشياء يجب أن نتمثلها حينما نقرأ القرآن ولا نقرأ القرآن بشكل سطحي، لذلك المسلم لا يتخرج في الحديث عن هذه العلاقات الطيبة النبي ﷺ كان يتحدث عن السيدة خديجة فيقول: إني رزقت حبها، من يقول إذا أحد منا يقول: رزقت حبها يعيب عليه الناس، النبي ﷺ يقول: عن السيدة خديجة فيقول: إني رزقت حبها، بل النبي ﷺ يقول: لم يرى في الحديث الصحيح، لم يرى للمتحابين مثل النكاح، يعني إذا كان اثنان يحبون بعضاً فالحل هو الزواج بينهما والحديث يدل على ذلك رويه ابن عباس: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندنا يتيماً فتاة يتيمة تعيش معه وقد خطبها رجل معدم ورجل موسر واحد فقير وواحد غني وهي تهوى المعدم ونحن نهوى الموسر مثل العادي طبعاً الأسرة تحب الغني والفتاة تهوى هذا الرجل فقال النبي ﷺ لم يرى للمتحابين مثل النكاح فأمر بتزويجها من الشخص الذي تهواه وتحبه. هذا الكلام عندما نقوله الآن يتعجب الناس هذا الشيء منتهى الجراءة، هذا هو الإسلام وقضية سد الذرائع، الذريعة معناها الوسيلة إلى الشيء فكان رأي الفقهاء إنه أي شيء ممكن أن يكون وسيلة إلى شيء آخر محرم والأحسن أن احنا نقطع الموضوع من أوله، هذا نسميه سد الذرائع.

هذا سد الذرائع قد يجوز في بعض الأحيان مثلاً ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم الله سبحانه وتعالى قطع الطريق على أن يسبب الآخرون رب العالمين فأمرنا ألا نسب الأصنام، هذا المثل الأساسي الذي يقال على سد الذرائع لكن المبالغة في سد الذرائع أدت إلى شيء لا تحمد عقباه، وبالإضافة إلى ذلك المعروف أن إذا كان النهي للتوقي عن الذريعة فهذا النهي يؤخذ على أنه مكروه لا على أنه محرم فعلى الأقل الأشياء التي يعتبرها بعض الناس للتحريم هي في الحقيقة مجرد الكراهية وتفعل للمصلحة الراجحة فعند ذلك تفعل هذه الأمور التي نقول إننا نفعلها لسد الذريعة على سبيل المثال.

هنا تأتينا قضية من الأشياء التي سئلت عنها وهي قضية السفر يقال إن المرأة لا تسافر إلا ومعها محرم، السبب فيه هو الحفاظ على المرأة أن لا يتعرض إليها أحد لأنه في الأيام الماضية كان الأسفار لمسافات طويلة والمرأة وحدها في الطريق ممكن أن تتعرض لأشياء عديدة، ولكن

الذي يدل على أن هذا فقط لظروف معينة ولا ينسحب على كل الظروف، الحديث الصحيح الذي رواه عدي بن حاتم يقول: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة «الفقر» ثم أتى إليه آخر فشكا قطع السبيل بالطرقات يوجد قطاع طرق يقطعوا الطريق، فقال يا عدي، النبي ﷺ يقول لعدي بن حاتم هل رأيت الحيرة، النبي ﷺ ما رأى الحيرة طبعاً وكان في المدينة والحيرة في العراق، قال لم أرها وقد أنبئت عنها قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعنين، الظعنين أي المرأة الراكبة في هودج يعني المرأة المسافرة، قال لترين الظعنين أي المرأة المسافرة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحد إلا الله. قلت بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين سعروا البلاد قطاع طرق قال دعي فرأيت الظعنين ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله رآها بنفسه. الحافظ بن حجر يفهم من الحديث بكل وضوح يقول إن احتج للقول بجواز المرأة وحدها بحديث عدي بن حاتم ورواية أخرى للحديث يوشك أن تخرج الطعينة من الحيرة لا زوج معها في الرواية الأخرى هنالك نص على أن واحدة، واحدة بكل معنى الكلمة، ولذلك الإمام الشافعي اختار أن المرأة تسافر في الأمن ولا تحتاج إلى أحد بل تسير وحدها في جملة القافلة فتكون آمنة إذن هذا مثال على سد الذرائع، لأنه سدت ذريعة خوف الأمن الاعتداء في الطرقات من قبل قطاع الطرق وما شابه ذلك وحينما تزول هذه الحجة يزول الحكم ولذلك لا حرج إن شاء الله في سفر أخواتنا في كل سفر بدون محرم. النبي ﷺ قال: إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: يا رسول الله ما لنا منها بد هي مجالسنا نتحدث فيها، فقال: فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما هو حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إذا واحد بوجهه يجلس بالطريق بده يقوم بهذه الواجبات ومقدمة غض البصر. هنا فيه ملاحظة مهمة جداً في هذا الحديث، الملاحظة أن هذا الحديث ليس حديثاً تشريعياً وإنما هو حديث تنظيمي، النبي ﷺ كان في غالب الأحيان يتحدث بصفته مشرعاً لأنه كان ينقل عن الله عز وجل لكن لما صارت المدينة صار أحياناً يتحدث بوصفه رئيس الدولة وأحياناً يتحدث بوصفه قاضياً وأحياناً يتحدث بوصفه مفتياً فهذه تختلف الأحكام بعضها عن بعض فمجرد أن يلاقي شيء مكتوب بكتاب نقول هذا خلاص حديث نأخذه ونمشي به الأشياء يجب أن يكون فيها فقه للحديث فهذا الحديث نلاحظ أن النبي ﷺ قال: إياكم والجلوس على الطرقات، ونفهم منه أن هذا أمر تنظيمي وليس أمراً تشريعياً لأن لو كان أمر من الشارع ما أحد يناقش فيه أبداً، المؤمن ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون الخيرة لهم في أمرهم لكن هم فهموا أن يأمر بذلك باعتباره رئيس الدولة فناقشوه قالوا له إنما هي مجالسنا ليس لنا منها بد إلى آخره وعدل القرار أيضاً القرار التنظيمي الأول هو منع الجلوس على الطرقات عدله يعني إذا جلستم على الطرقات تعملوا كذا وكذا هذه بالمناسبة وسعة تقول إن كثير من الناس أيضاً يخطئون فيسمعون حديثاً من الأحاديث فيلتقفونه وبينون عليه أحكاماً دون أن يعرفون مناسبة الحديث أو تحدث النبي ﷺ بأي صفة من هذا الحديث.

عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال: أردف النبي ﷺ الفضل ابن عباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته فضل ابن عباس كان شاب ابن عمه للنبي ﷺ فركبه خلفه وكان الفضل رجلاً مضيقاً جميلاً فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم وأقبلت امرأة من خثعم قبيلة اسمها خثعم مضيفة

كمان حلوة تستفتي رسول الله ﷺ فوقف الفضل ينظر إليها وأعجبه حسننها فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليها فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها. هنا لم ينتهره ولم ينتهرها ولم يقل يا امرأة غطي وجهك هذا حرام، لا، عاملهم بلطف، الفضل زودها شوي فخفف الموضوع قليلاً وتعامل مع الموضوع بهذا اللطف وهذه الرقة. كم هو الفرق بين عمل النبي ﷺ وبين ما يفعله الناس اليوم. وكل هذه الأمور كانت تعامل بهذه البساطة، كان الناس يصلون مع النبي ﷺ وهم عاقدوا إزورهم من الصغر، الإزار هو الذي يغطي أسفل البدن فكان يربطونه ما عندهم غير قطعة واحدة فهو شكل ملابس الإحرام التي نلبسها اليوم، كان عندهم قطعة واحدة بس يضعوها ويربطوها فحينما يسجدون ويقومون كانت تبدو عوراتهم من ضيق الأزر والنساء ورائهم فالنبي ﷺ بس طلب من النساء أن يتأخروا قليلاً ما قال للرجال روحوا وافعلوا أي شيء أبداً بكل بساطة هذه الأمور يجب أن تعامل كما تستحق ولا مجال لهذا التعقيد ولا يجوز مثل هذا التعقيد. الأبلغ من ذلك أنه حديث راويه الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد، وهي من نبيلات النساء وتدافع دائماً عن حقوق النساء من البداية وهي التي زوجها والدها لإنسان دون أخذ موافقتها فذهبت إلى النبي ﷺ وقالت يا رسول الله إن أبي زوجني من ابن أخيه وأنا له كارهة ليرفع بي خسيسته حتى يرفع من مقام ابن عمه فجعل رسول الله ﷺ الأمر إليها قال لها أنت صاحبة القرار لما صار الأمر إليها قالت قد أجزت ما أراد أبي وافقت ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للرجال من أمورهن شيء، هذا الكلام قلته في محضر الرسول ﷺ وقره الرسول ﷺ.

أسماء بنت يزيد تقول كنا عند رسول الله ﷺ أرجو أن تنتبهوا إلى الحديث تماماً والرجال والنساء قعود يعني زينا هنا فقال رسول الله ﷺ لعل رجلاً يقول ما يفعله بأهله يحدث ما فعل مع أهله ولعل امرأة تحدث بما فعل معها زوجها يعني العلاقات الجنسية الخاصة فأرم القوم سكتوا مين يتكلم تكلمت أسماء بنت يزيد فقلت بلى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن فالنبي ﷺ قال فلا تفعلوا بكل بساطة فإنما مثل ذلك كمثل شيطان رأى شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون فهذا شيطان وهذا يفضح الأشياء التي يجب أن يحافظ فيها على الخصوصية إذن نلاحظ في محضر الرجال والنساء قعود أثار النبي ﷺ مسألة جنسية في غاية الحساسية وردت عليه امرأة ولم يرد عليه رجل وقالت إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ونبههم بأسلوبه اللطيف الرقيق إلى أن هذا أمر ينبغي ألا يفعل الذي أردت أن أقوله أن هذه الأشياء أشياء تعامل بما تستحق لا تعامل بمبالغة ومغالاة أكثر مما تستحق كما فعل اليوم هذه الأشياء اليوم نركز عليها كثيراً ونقيم الدنيا ونقعدا ومنها أيضاً يتجلى فيه التمييز والفرقة بين الجنسين إننا نعرف إذا كان شاب أخطأ ارتكب خطيئة في حياته، الناس تقول شاب واستحلم أما إذا كان فتاة بتقوم الدنيا ولا تقعد وأهلها يقتلونها وهذا يسمونه جرائم الشرف يبحكوا فيها وجرائم الشرف تبحث في البرلمانات ويراد لها أنواع من الاستثناءات هذه أشياء كلها جاهلية يجب أن تحارب كما تحارب كل أمور الجاهلية الأخرى.

فيه بعض الأسئلة التي نتحدث فيها بس قبل ذلك أحب أن أختتم ببعض ملاحظات قليلة: قال الحافظ الذهبي وهو من كبار علماء الحديث يقول والحديث من مميزات الله سبحانه وتعالى أتاح له العلماء الكبار الذين يبحثون كل راوي للحديث ويتحققون هل في حياته كلها كذب كذبة واحدة يشطب حديثه هل عنده خديعة هل فكره مختل هل خرف في آخر زمنه بعد ما رواه إلى آخره فالقاعدة العامة التي يقولها الحافظ الذهبي لم يَأْثُرَ عن امرأة أنها كذبت في حديث فلذلك يسهل علينا أن نقول فلان عن فلان عن فلانة ما بندور عن فلانة لأن فلانة لا تكذب فالمرأة لم يَأْثُرَ أنها كذبت في رواية الحديث أبداً وهذا من المفاهيم من تراثنا ومفاخر نساءنا وقال الشوكاني لم ينقل عن أحداً من العلماء أنه رد خبر امرأة لكونها امرأة وكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من السنة. ولا ننسى أن وصية النبي ﷺ بالنساء كانت مستمرة حتى في خطبة الوداع في حجة الوداع قال النبي ﷺ واستوصوا بالنساء خيراً بل أبلغ من ذلك وهو يحتضر كان في مرحلة الموت التنبيه الذي كان يقوله استوصوا بالنساء خيراً، وكان يقول فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله وأخذنا منكم ميثاقاً غليظاً ويقول: إني أخرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة ويقول: خيركم، خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وحديث الآخر الذي يرويه سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: خياركم، خياركم لنسائهم والزواج أمر بسيط جداً في الإسلام ما فيه تعقيدات إطلاقاً عملية الزواج هي عملية زواج مدني ليس لدينا في الإسلام زواج ديني وزواج مدني هو زواج واحد وبالبساطة التالية التي أقولها لكم الحديث الذي رواه أبو داود عن عقبة ابن عامر أن النبي ﷺ قال لرجل: أترضى أن أزوجك فلانة قال: نعم، وقال للمرأة: أترضين أن أزوجك فلاناً، قالت: نعم فزوج أحدهما صاحبه فدخل بها الرجل. هذا عملية الزواج كله، وفي حديث آخر أن يجب أن يكون هنالك شاهدان فالحديث عن النبي ﷺ كلها كانت بمحضر عن الناس فلذلك لم يذكر الشاهدان هنا فهي في هذه البساطة وكما ترون أننا كم نعقد هذا الزواج وكم نزعج فيه الشيء المطلوب في الزواج هو شهادة الزواج وإعلان الزواج هذا أمر أساسي في الموضوع. النبي ﷺ يقول أشيدوا النكاح وأعلنوه أذيعوه، ويقول فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف أنه لازم أثناء العرس يصير غناء وموسيقى وهذا من جملة الأشياء التي يتشدد بها بعض إخواننا المتزمتين المتعنتين. وهذا من ضمن الأسئلة التي جاءتني عن حكم الغناء وأنا أقول أن حكم الغناء سنة، لأن النبي ﷺ أمر به وحضره وأقره وأنكر على منكره، فالسنة أكثر شيء فهي قولية وعملية وتقديرية، لأن النبي ﷺ كان في يوم عيد ولديه جواريات يضربن بالدف ويغنين فدخل سيدنا أبو بكر قال المزممار والشيطان عند رسول الله ﷺ فقال: دعهن يا أبا بكر فإنها أيام العيد، فإذن هو لم يقر هذا الإنكار وكان يستمع بنفسه لهذه الموسيقى وكان إذا ذهبت السيدة عائشة إلى عرس عند الأنصار يقول: يا عائشة أما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو، معناها كان يسأل عن هذا، ويأمر به، لأن هذا شيء مطلوب فهذا بالنسبة للزواج أمر أساسي يجب أن يكون، وجعله النبي ﷺ فصل بين الحلال والحرام يعني بين السفاح والنكاح الزواج الشرعي في حين أنه لم يكن شرعي ببستحوا وما يكون هذه الأعمال وهو القرينة التي تدل على الفصل بين الحلال والعلاقة الجنسية وبين الحرام.

في رواية أخرى للحديث الذي ذكرته في البخاري قال النبي ﷺ فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني، قلت السيدة عائشة قالت: تقول ماذا؟ قالت أقول أتيانكم أتيانكم فحيانا وحيانكم ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ولولا الحمقة السمراء ما سمنت عذارىكم فالنبي ﷺ يعلمهم ما يغنون ومع ذلك نجد المتزمتين الآن يقولوا الغناء حرام النبي ﷺ مارس ذلك وأمر به وأقره ومع ذلك نحن نحرمه.

وعن هبار بن الأسود أنه زوج بنتاً له وكان عندهم كبر وغرابل، كبر هو الطبل الكبير، والغرابل هي الدفوف والصاجات فخرج رسول الله ﷺ وسمع الصوت، فقال ما هذا؟ فقيل زوج هبار ابنته، فقال النبي ﷺ أشيدوا النكاح، هذا النكاح لا السفاح هذا ثناء على ما كانوا يفعلون.

عن عامر بن سعد قال دخلت على كرزة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوارى يغنين فقلت أنتما صاحباً رسول الله ﷺ ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم، هذا عامر بن سعد يقول هذا الكلام؟ فقال: اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت اذهب. قد رخص لنا في اللهو عند العرس.

وعن عائشة أن النبي ﷺ مر بنساء من الأنصار في عرس لهن وهن يغنين وأهدى لها كبشاً تتحنح في المربد وزوجك في الناد ويعلم ما في غد، فقال لهم رسول الله ﷺ ما يعلم ما في غد إلا الله هو أنكر الشيء المخالف أما فيما عدا ذلك فلا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أبصر النبي ﷺ نساء وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً بسرعة فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إليّ يقول هذا للنساء والصبيان. وعن سهل بن سعد قال: لما عرس أبو أسيد الساعدي تزوج دعا فالنبي ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قرّبه إليهم إلا امرأته أم أسيد هي التي قدّمت الطعام للضيفين، بلّت ثمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أمأته له فسقته إياه تتحفه بذلك. أمثلة كثيرة لكن حبيت أذكر بعض الأسئلة لمجرد ذكر لأدل على بعض الأمور الأساسية.

من الأسئلة التي جاءتني بعض الأسئلة التي تتعلق بلباس المرأة وهذا السؤال الذي يتكرر وفيه حساسية كثيرة أولاً الحجاب هو لنساء النبي ﷺ وحدهن غير نساء النبي ﷺ ليس عليهم حجاب لأن هذا من خصوصياتهن. الله سبحانه وتعالى يقول: يا نساء النبي لستن كأحد من النساء، إذن أحكام نساء النبي ما لها علاقة بالنساء أبداً ويقول فيها وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب وهذا نوع من التقدير والاحترام لزوجات النبي ﷺ بالبده كانوا يجيئوا الأعراب ما هم متعودين على الحضارة، وكانت حجرات النبي ﷺ متصلة بالمسجد فيقعدوا يأكلوا ويتحدثوا إلى آخره والنساء محجرات في حركاتهم، فالله سبحانه وتعالى قال: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، فصار فيه حجاب يفصل بينه وبينهم وهذا باقي حكمهن لأمهات المؤمنين جميعاً رضي الله عنهن، أما غير أمهات المؤمنين فليس عليهن حجاب أبداً واستعمال الحجاب في هذا المعنى خطأ كبير إنما هنالك لباس للمرأة المسلمة كما هنالك لباس للرجل المسلم لأن لا

الرجل المسلم يلبس أي شيء ولا المرأة المسلمة تلبس أي شيء فيه أشياء متعارف عليها لا حرج فيها لكن فيه أشياء يدقق الإسلام فيها وينص عليها، فبالنسبة للمرأة ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في موضوعين أساسيين: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن مجموعة من الأقرباء الأدنى يمكن لهم رؤية هذه الزينة الباطنة. إذن هنالك أشياء متفق عليها بين الرجال والنساء غض البصر مطلوب عن ما هو محرم النظر إليه هذا الوجه المداخل في ما هو غير الوجه وغير الكفين هذا ما يجب أن يغض الإنسان من بصره، الله سبحانه وتعالى قال: يغضوا من أبصارهم وليس يغضوا من أعينهم كما قال في سورة لقمان: واغضض من صوتك يعني اجعل صوتك خفيضاً فكذلك غض البصر والبعلة الزائدة والحملقة التي لا مبرر لها هذه المفروض أن لا تكون من أحد الطرفين والأمر الآخر حفظ الفروج يعني عدم إبداء الأعضاء التناسلية ومنطقة الأعضاء التناسلية الحفظ غالباً هنا المقصود هنا هو تغطيتها وليس الأمر الآخر الذي وارد في آيات أخرى.

الشيء الإضافي عند النساء هو لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها الملاحظة الأولى التي أريد أن أقولها ولا يبدين زينتهن سمي اللباس زينة والله سبحانه وتعالى يقول: خذوا زينتك عند كل مسجد، طيب ومعنى الزينة، هي الشيء المزين البهيج اللطيف أنا ما بعرف مين اللي زين الزينة باللون الأسود اللون الأسود لا يكون زينة عمركم رأيتم زهرة لونها أسود إلا بحكاية التوليب القصة المعروفة إنما اللون الأسود ليس زينة بينما رأينا كثيراً من بلداننا يتميزوا بلون يا أبيض يا أسود غيره ما فيه. وذلك يخالف كتاب الله عز وجل الله سبحانه وتعالى قال زينة ولذلك ورد في الأحاديث الصحيحة إن النساء كن يلبسن الأحمر والأخضر والملون هذا اللي اسمه زينة. كان سيدنا علي جاء من اليمن لسوق الهدي أو الإبل فوجد النبي ﷺ قد أمر الناس أن يحلوا اللي ما معه هدي يذبحه فأمرهم أن يحلوا حتى يصير يوم الحج مثل ما نفعل حالياً التمتع فجاء سيدنا علي ما عنده فكرة فوجد فاطمة وقد لبست ثوباً صبيغاً واكتحلت صبيغاً يعني ملون فأنكر عليها سيدنا علي ذلك قالت إن أبي أمرني بهذا فذهب إلى النبي ﷺ محرصاً على ما فعلت فاطمة فقد صدقت. إذن السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين لبثت لباساً صبيغاً للحج واكتحلت.

واحدة اسمها أم شريك كانت متزوجة وحامل مات زوجها وهي حامل بعد أيام قليلة وضعت حملها فخلاص قضت عدتها فلذلك تزينت للخطاب فجاء واحد اسمه أبو السنابل يظهر إنه كان ناوي يخطبها شافها وقال ما بيصير أنت لازم تقضي عدتك إلى آخره فشكته إلى النبي ﷺ فقال: صدقت لكن تزينت للخطاب. وأحاديث كثيرة صحيحة في الصحاح تدل على هذا. امرأة جاءت للسيدة عائشة وعليها خمار أخضر، والمقصود فيه أي قطعة من القماش، تقول لما جاء النبي ﷺ عم تشكو زوجها أنه ضربها وأدى إلى الإضرار في جلدتها بتقول السيدة عائشة: فقلت للنبي ﷺ والنساء ينصر بعضهن بعضاً، هذا حديث للسيدة عائشة وهي تحكي قلت يا رسول الله لجلدها أشد خضرة من ثوبها معناها أن الثوب أخضر، فكل الألوان أخضر وأحمر وأزرق إلى

آخره ومع ذلك نحن نلبس الأسود. الله سبحانه وتعالى قال: زينتهن فالثياب زينة، الزينة الظاهرة تشمل الثوب الظاهر ثم هذه الزينة أيضاً امتدت إلى ما يبدو من المرأة عادة فهو المتفق عليه هو كشف الوجه والكفين وفي مذهب الإمام أبي حنيفة حتى منتصف الذراعين والقدمين يعني القدمين يبدوان من المرأة عادة حتى لو كانت حافية أو منتعلة دائماً القدمين يبدوان. وهذه بالمناسبة بعض الأخوات سألوا بالنسبة للصلاة إذا كانت كشفت القدم هذا مفسد للصلاة؟ لا ليس مفسد للصلاة القدم ليست عورة لا في الصلاة ولا في غير الصلاة. لذلك لتطمئن أخواتنا إلى هذا.

إذن الأمر الآخر الذي أمر به القرآن هو وليضربن بخمورهن على جيوبهن كانت العادة أنهم يغطوا شعرهم ويرموا الغطاء للخلف فيكون هنا واضح والنحر والجزء الأعلى من الصدر مكشوف فما أمر الله سبحانه وتعالى بتغطيته هو هذا الجزء فالحمد لله سبحانه وتعالى علمهم طريقة التي لا يغيروا فيها شيء من ملابسهم بس الملابس اللي ورا يضربنها على جيوبهن الجيب هو هذه المنطقة خلا نفس اللباس الملبوس بس قال لهم استروا هذه المنطقة هذا كل ما في الأمر.

كلمة الخمار وكلمة الجلباب بمعنى واحد وكلاهما معناه قطعة من القماش يعني إيشارب الجلباب هو الخمار نفس المعنى يدنين عليهن من جلابيبهن هذا من أجل تمييزهن عن غيرهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين فإذا القاعدة إنه قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ليه ذلك أدنى أن يعرفن ليه فلا يؤذين إذن الغاية الأساسية هي ألا يؤذين فإذا صار الإدناء هو السبب في إيدائهن فما داعي لأن يفعلن. وهذا من جملة الأشياء التي لا نفهم فيها كتاب الله كما ينبغي أن يفهم.

إذن هذا كل ما ورد فالحمد لله سبحانه وتعالى فرض على النساء ألا يبدین زينتهن إلا ما ظهر منها وأن يضربن بخمورهن على جيوبهن وسمح بإبداء الوجه والكفين وفي بعض الأقوال حتى منتصف الذراعين وحتى القدمين.

ما هو حكم المرأة إذا فعلت ذلك كثير من إخوتنا يقلن إن الصلاة لا يصلوا لهذا وما يحجوا لهذا، هذا كله عبادات تقام في وقتها ولا علاقة لها بهذا الموضوع إطلاقاً. ألطف ما سمعت من أخينا الحبيب الدكتور أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر، وكان مفتي الديار، سألته واحد وقال له: ما هو حكم كشف الوجه قال له معصية من جملة المعاصي، الله سبحانه وتعالى هو إليه تعود هذه القضية فهو يغفر هذه المعصية إن شاء لكن هي معصية من جملة المعاصي وأنا لا أدري لماذا نفرق كثيراً بينها وبين ما قبلها مباشرة يغضوا من أبصارهم، طيب احنا نغض من أبصارنا بصراحة لا رجالنا ولا نساءنا ما أحد يغض من بصره ما أحد قوم الدنيا إن احنا نغض من أبصارنا هذين أمرين جاءوا مع بعض ولا يبدین زينتهن مع يغضوا من أبصارهم لكن هذه تكبير للموضوع عليها المهم أن يكون في الدرجة الأولى الإنسان محتشم يعني هذا النوع من التهتك غير مقبول وهذا لا يليق بالمسلم في أي مكان هذا هو المطلوب طبعاً المطلوب هو أن يحاول الإنسان الالتزام بأوامر الله عز وجل لكن نحن كثير من أوامر الله عز وجل نقصر فيها فهذا

التقصير ليس مبرراً أن نترك الأشياء الأهم التي هي الصلاة والصوم والزكاة والحج وما شابه ذلك لأن كثير من الناس مع الأسف من هذا الباب يدخل إليهم الشيطان فيغيرهم بترك العبادات الأساسية لا إن شاء الله كله مقبول ورب العالمين هو الذي يحاسبنا على ذلك وهذا بيننا وبين الله عز وجل وهناك كثير من الأمور التي تكفر الذنوب والتي دلنا عليها الله سبحانه وتعالى صلوات الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهم ما لم يأتي كبيرة، صوم رمضان يكفر السنة السابقة، صوم يوم عرفة، كثير من المبررات والصدقات تكفر السيئات فيجب أن لا نضخم هذه الأشياء ونعطيهما بعدها الحقيقي لكن المطلوب في نص القرآن هو هذا هو أن يغطي الجسد باستثناء الوجه والكفين وفي قول منتصف الذراعين والقدمين.

الأمور الأخرى أعتقد الوقت ضاق منها لكن هنا قضية السفر بدون محرم ذكرناه قضية الشعر لازم يستر وهذا اللي وارد فيه ستر الوجه فيه حديث لكن مرسل النبي ﷺ قال لأسماء أخت السيدة عائشة يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يجوز أن يبدو منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه، لكن مثل ما قلت هذا المطلوب والإنسان يحاول قدر ما يستطيع.

الصدقة الجارية فيه سؤال عنها هي أي صدقة تستمر لأن الصدقة نحن نعطيها وانتهى لكن الصدقة التي تستمر يكون فيها الاستمرار نسميها الصدقة الجارية على سبيل المثال سبيل ماء هذا صدقة جارية وضع مال في بناء مستشفى أو ساهم في بناء مستشفى هذه صدقة جارية الأوقاف التي تسمى الأوقاف الخيرية كانوا يقفون حتى وقفوا على البهائم كان هناك منطقة صارت بعدين بدمشق كان معرض دمشق الدولي كان في الأصل وقف على خيول المسلمين وخيول المسلمين وقت ما كبروا أنهم خلاص مساكين يحطوهم حتى يموتوا فهذا مرج فيه حشيش يأكلوا ويشربوا ويرتاحوا لأن وصلت الأمور لهذا المستوى في تاريخنا. فهذه الصدقة الجارية توضع في مكان يكون مستمر فأى ابتكار. المهم أنه المبدأ النبي ﷺ سماها الصدقة الجارية معناها التي يستمر خيرها ونفعها.

كمان تأليف كتاب وتعريف الإسلامي للعلم لأن صار مع الأسف معركة في بعض الصحف لأن العلوم الإسلامية هي العلوم الطبيعية والعلوم الكونية والفيزياء والكيمياء هذه العلوم الإسلامية أما الأخرى التي اسمها العلوم الإسلامية هذه فقط أو تفسير أو حديث لكن العلوم الإسلامية التي نزلت في القرآن حينما يقول الله سبحانه وتعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أو هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كلها جاءت في معرض الحديث عن تلك العلوم فكل علم من هذه العلوم بما فيها طبعاً العلوم الإسلامية.

تعويض عن الإفطار هل من الممكن تعويض عن الإفطار بإفطار عشرة أشخاص في يوم واحد بدل من إفطار فرد واحد خلال يوم واحد؟

طبعاً نعم المهم أنه كل واحد يأكل بالكمية التي تكفي الشخص الذي أفطر.

هل يجب على كافل اليتيم التصرف على اليتيم أو أنه من الممكن كفالته دون تصرف أو تداخل؟

بعض الناس يكونوا أغنياء، فالغني يستعفف عن مال اليتيم أما إذا كان فقير فممكن، فالله سبحانه وتعالى قال: ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف، والمعروف هو الشيء الذي يتعارف عليه الناس إن يجوز فيها.

القرض الحسن. القرض الحسن هو الذي لا منّ فيه ولا أذى ولا ربا فيه بطبيعة الحال. هذا يسمى القرض الحسن والله سبحانه وتعالى اعتبر من هذه القروض الصدقات التي يعطيها الإنسان الله سبحانه وتعالى يقول إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم. فهذا هو في الأصل هو القرض الحسن وعم بعد ذلك استعماله لكل قرض يعطى بدون فائدة بشرط ألا يكون فيه منّ ولا أذى، إن واحد يعطيه ويحكي للناس ويقول أنا أعطيته وأنا خلصته من أزمته، إلى آخره هذا قرض غير حسن فالله سبحانه وتعالى قال: ولا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى.

الشيء الأساسي الآن الذي يركزوا عليه الناس في القرض الحسن هو عدم الربا فيه وقضية الربا هل تشمل الفائدة أو لا تشمل الفائدة هذا أمر مختلف فيه فقهاء العصر، فلأسف لم تحسم هذه الأمور حسماً اقتصادياً تبحث من قبل غير الاقتصاديين ومع الأسف لم يفعل الاقتصاديون كما فعلنا نحن الأطباء في القضايا الإسلامية أن نجمع عدداً كبيراً من الخبراء وعدداً كبيراً من الفقهاء وندرس القضايا معاً وبذلك يمكن أن يكون الحكم منطقياً ومدرّساً لا مع الأسف لم يدرس، لكن على كل حال المهم في القرض الحسن أن لا يكون فيه أي نوع من أنواع الربا أو الزيادة فيه.

هل تجب زكاة الفطر على الجنين بعد نفخ الروح فيه؟

لا، تجب على الإنسان بعد ما يولد. وبالمناسبة أذكركم بزكاة الفطر من الآن إذا أحد بيجب أن يطلع زكاة الفطر المفتي قال أن الحد الأدنى لها سبع جنيهات لكن يعني عشر أو عشرين خير وبركة بس عن كل واحد صغير أو كبير والخادم كل هذا على المرء أن يخرج عنهم.

هل يجوز للحامل في الأشهر الثلاث الأولى أن تفطر هي حسب التعب بدون رأي الطبيب؟
نعم.

أحد الناس أودع وديعة لأطفاله وهي وديعة مغلقة لا يمكن الانتفاع بها وبعائداتها إلا بعد عدة سنين، ويريد أن يخرج عنها زكاة من مال آخر وهو من مال الأم اعتباراً أن الأطفال نصيبهم فيه فهل هذا جائز؟

نعم، مال الوديعة عليه زكاة النبي ﷺ قال اتجروا في مال اليتيم لا تأكله الزكاة فإذن مال اليتيم فيه زكاة ولذلك النبي ﷺ أمر أن نشغله حتى ما يخلص.

باعتقاد أن الوقت قد انتهى.

أنا أعرف أن اليوم آخر ثلاثاء في رمضان بس يعني إحنا محتاجين إلى محاضرات أخرى، فإن شاء الله يكون فيه محاضرات أخرى.

ونحن جميعاً نشكر الدكتور خياط على هذه المحاضرات التي استفدنا منها كلها وزى ما حضراتكم عارفين أعتقد أنها موجودة في كاسيت اللي يحب أنه يأخذ نسخ أكيد ستكون مفيدة لنا جميعاً وشكراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،